

ومضات تنبيه لفرسان المنابر



معاذ الوصابي MMG

ومضات تنبيه لفرسان المنابر

تأليف: معاذ الوصابي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، العالم بخفايا العالمين، والمتفضل
بقبول عمل العاملين، والصلاة والسلام على النبي
الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، صاحب اللفظ المبين،
وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين ثم أما بعد:

"فإن الخطابة في الإسلام جزء لا يتجزأ من كيان الأمة
الشامخ ، ولسانها الناطق ، وحبر قلمها السيال ،
وحركات بنائها الحثيثة ، لها شأن جليل ، ومقصد نبيل
، وأثر ليس بالقليل ، هي منبر الواعظ ، ومتكأ الناهض

، وسلوان من هو على دينه كالقابض ، لا يعرف وسيلة
في الدعوة أقرب إلى التأثير منها ، ولا وقع أشد - في
التلقي بالقبول في نفوس الناس - من وقعها ، وهي
مهنة النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، ومبتدؤه وخبره
بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه ، كما أنها
ميدان الدعاة الرحب ، ومنهل الزمائم العذب ،
وسهل الواطئين الرطب " ¹

وإن التصدر للخطابة أمر شديد لمن علم قدرها، وقرار
سديد لمن قدر أن يوفيقها حقها، فهي ميراث الأنبياء
وشعيرة من شعائر الإسلام الخالدة، ومن باب المساهمة
في هذا الباب بمقالات مختصرة كتبت ما أملى علي

¹ (مقتبس من مقدمة كتاب: الشامل في فقه الخطيب والخطبة)

الخاطر مما استفدته من كلام مشايخي وقراءاتي ومزاويتي
للخطابة ومناقشاتي مع الخطباء، فأحببت أن أكتب
هذه النصائح القليلة، لعل الله ينفع بها رجلا من
المسلمين، وهي في الأصل موجهة للخطيب، ولا
مضيعة في وقت غيره إن اطلع عليها، وأسميتها
(ومضات تنبيه لفرسان المنابر)) فأسأل الله أن يتقبلها
بقبول حسن، وما كان من خطأ فمشكور كل من تكرم
بالمراجعة والمناصحة، فالدين النصيحة كما يقول صلى الله عليه وسلم
والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ معاذ بن محمد الوصابي

moadhmmg@gmail.com

الفصل الأول

أيها الخطيب الكريم.. إن مهمتك في المجتمع كبيرة جدا، لا بد أن تعرف قدرها، وإن الأمانة على عاتقك عظيمة ويجب أن تؤدي حقها، إنك طبيب المجتمع الشامل، حتى وإن لم ترغب أن تكون كذلك، فيجب عليك ما يجب على الطبيب في عمله، والواجب عليك يترتب كالتالي:

● يجب على الطبيب قبل أن يفعل فعلا أو

يقول قولاً في الطب أن يتعلم الطب بإتقان

وأن يدرسه بإحسان، فيملاً القلب بالعلم
والبيان ويُدرّب اليد واللسان، وأنت كما هو
لا فرق بينكما إلا بالموضوع، فإن كان
طبيب الأبدان فأنت طبيب الروح والجنان،
وإن كان واجبه توعية الناس بتحذيرهم مما
يضر بأجسامهم، فأنت واجبك توعية
الناس بتحذيرهم مما يضر بأديانهم وأفكارهم.

● يجب على الطبيب العمل بما عرف من
قوانين الطب في نفسه، وأنت يجب عليك
أن تعمل بما علمت من شرائع ربك في
نفسك، وإن كان مداوة الطبيب للناس
وإرشادهم إلى الوقاية مع إهمال ذلك في

نفسه فإن ذلك سبب وجيه لأن يُرْفَضَ
قوله، ويُتْرَكَ توجيئه، فأنت أولى بما تأمر به
الناس، وأحق بالعمل من التعليم، وتذكر
دائما قول الله ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
واجمع وعيك مع قوله جل شأنه ﴿أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ فالداعي غيره إلى عملٍ لا يعمل
به دعوته كنفخةٍ في حُفنةٍ رماد، فالعمل
بالدعوة عماد قبولها، وهذا هو نهج أنبياء
الله ورسله عليهم السلام، ونهج أتباعهم من
أهل العلم والإيمان؛ إلا أنه يجبُ مُراعاة أنك
أيها الداعية الكريم لست معصوما، فلا

تعمل بالقاعدة الشيطانية التي تقول (إياك
أن تأمر بمعروف لا تأتيه أو تنهى تن منكر
تأتيه) نعم.. الأصل كذلك ولكن ليس بعد
رسول الله ﷺ معصوم، ولو لم يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر إلا معصوم لما أمر أحد
بمعروف ولا نهي أحد عن منكر من بعد
وفاة الرسول ﷺ، وقد جربنا وسمعنا من
علمائنا أن من طرق التخلص من الذنب أن
تنظر إلى أحد غيرك يفعله فتنهاه عن فعله،
وأن من الطرق الدافعة إلى فعل الخير أن
تنظر إلى أحد غيرك لا يفعل فتأمره به،
فإياك ومزالق الطريق وأحجار العثار!

● ويجب على الطبيب إذا عرف الأخطار والأمراض ووقى نفسه إياها أن يسعى في نشر ما عرف من أسباب الأمراض ليحذرها الناس، ومن أدوية الأمراض ليأخذ بها الناس، وأنت أيها الخطيب أولى بذلك منه، فإنه إن ترك واجبه أخطر ما قد يحدث أن تتلف الأبدان، أما أنت فإن تركت واجبك فيخشى أن تكون سببا في غربة الدين وضياع الأوطان، وفي خسارة الدنيا والآخرة واستحقاق النيران؛ فاعلم بأنك مكلف بالتبليغ عن الله ورسوله ﷺ ما علمت منهما، واسمع لقول المصطفى ﷺ (بلغوا

عني ولو آية) رواه البخاري. قال بعض أهل العلم: في قوله (بلغوا) تكليف بالإبلاغ، وفي قوله (عني) تشریف بالاتباع، وفي قوله (ولو آية) تخفيف وإشفاق؛ فكن أنت أول عامل بما تعلم، وأو داعٍ إلى ما تعلم.

● وفي طريقك الدعوية تختلف عن الطبيب بأنك ترجو عظيما وهو الجنة، وهو في غالب أمره يرجو دنيا وهو الدنيا، ومع ذلك تجده يصبر ويصابر ويسعى ويكابد في نشر التوعية ووصف الأدوية، فيرحل ويسافر ويكتب ويحاضر، في سبيل تحصيل المكسب الدنيوي غالبا- وإن كان هناك من الأطباء

من يُخلص عمله لله فيكسب الدنيا والآخرة،
وكذلك ينبغي أن يكون كل طيب - فأنت
أولى بالدعوة والأسفار واجتياز القرى
والأمصار، لتبلغ دين ربك وتصحح ما
أفسد الشيطان، وتنشر التوعية بشأن القادم
من الأخطار أو الحاضر من الأشرار، فكن
بذلك عليما، وبالناس رحيفا، وإن أصابك
ما أصابك - وطريق الدعوة إلى الله شائك -
فكن صابرا بقدر ما ترجو من الثواب، وكن
ثابتا بقدر ما تخاف من الحساب.

وإن كنت تظن أن مهمتك سهلة سائغة، فاعلم بأنها
أعيت أكثر من نابغة، فلذلك اصطفى الله للدعوة إليه

من خلقه أقواهم أيماناً وأشدهم يقيناً ﴿أولئك الذين
أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع
نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا
تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾.

أيها الخطيب.. واعلم بأنك من حُرّاس العقائد من كل
فساد وافد أو باطل قائم أو قاعد، يقول العارفون: العلمُ
يرى الفتنة مقبلة والجاهل يراها مدبرة. أي أن من عنده
معرفة بالدين وعلم بطرائق المفسدين فإنه يعرف الشر
من بدايته ويرصد الباطل من ولادته، أما الجاهل فإنه
لا يرى الشر إلا إذا انتشر، ولا يعترف بوجود باطل
حتى يتمكن الباطل من كثير من جوانب الدنيا والدين؛
فوجب على من يرى الخطر القادم أن يكون حارساً

للغافل، ولا تقل مهمة العالم العارف، والداعية الناصح،
والخطيب الصادق عن مهمة الرّماة في معركة أحد،
فاحذر أن تغتر فتنزّل، أو أن تأمن فتُخذل.

أيها الخطيب.. كأني بك إن صدقت وأخلصت،
واجتهدت وبلغت، كأني بك مهندس ينظّم الأفكار،
ويُقيم الدمار، ويزيح أسباب العثار، ويمسح عن صورة
الحق الغبار.

أيها الخطيب.. ابن المجتمع على الفضيلة، واجعل
أساسات بنائهم العقيدة، فالخطيب الذي لا يضع في
كل خطبة لبنة في بناء المجتمع لا يستحق أن يكون
تحت لواء الخطباء.

أيها الخطيب.. معرفتك لمقامك وتقديرك لنفسك واجب شرعي، فإذا رأيت نفسك قليل الأهلية للقيام بحق المنبر، فاحذر التماذي في ما لا تُحسن، وإياك والتغاضي عن نصيحة الناصحين وملحوظة الناهين، فإن وجدت نفسك على أعواد منبر فتكلم بما أنت به أخبر، واحذر تقمُّص شخصية العلماء أو الخوض فيما أنت به شاكّ فكيف في ما أنت به جاهل.. تذكر أن وقوفك على المنابر خطيباً أو مُحاضر مقام من الدين خطير، فإن علمت من نفسك أنك غير جدير فلا تتحرج من التأخير، وكن دائماً حيث يؤخذ بيدك، وإياك أن تقعد حيث تؤخذ برجلك؛ بمعنى أنك إن تواضعت عما أنت أهل له فسيؤخذ بيدك ويُقال لك

تكلم. وإن تماديت وتكلمت في ما لا تعلم، أو خضت
ما لا تُحسِن فإنك حينئذ في مقام مقت وازدراء من
الجهال والخبراء، فنعوذ بالله من مثل هذا البلاء.

ولا تخشَ الانسحاب، ولا تخاف من العتاب.. إن
كنت أهلاً للقيام بالمهمة فافعل وسابق، وإن لم تكن
فاحذر.

أيها الخطيب.. إياك ثم إياك ثم إياك ثلاثاً أن تتخذ
الخطابة مهنة، أو أن تجعلها وسيلة لكسب دنيوي،
فإنك إن فعلت فقد غيرت سبيل الرُّسل عليهم السلام،
فلطالما رددوا ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا
على رب العالمين﴾ وانظر إلى هذه الآية في خمسة

مواضع في سورة واحدة واتخذ من سبيل الأنبياء سبيل
حياة ودعوة ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾

الفصل الثاني

أيها الخطيب.. اعلم رزقك الله شفاعة الحبيب ﷺ، أن الدين مادة واحدة وليس فيه قشور ولباب، ولكن كن متنبها فهناك شيء أولى من شيء، وأمر أسبق من أمر، فغرس اليقين وتثبيت قواعد الدين أولى من أي موضوع آخر حتى يتقرر هذا الأمر في القلوب، واعلم أخي الخطيب.. أن غرس اليقين في القلوب، لا يعتمد كليا على جمال الأسلوب، في المسموع أو المكتوب، وإنما يعتمد على ركائز هامة، وقواعد عامة لعلنا نُبرزُ ما يخطر على بالنا منها هنا:

● غرس اليقين يكون عن طريق تعلم وتعليم الدين الصحيح ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾ .

● غرس اليقين يكون عن طريق تعاهد المنصوح بالتذكير المليح ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ .

● غرس اليقين يكون عن طريق تكرار الحق بالرفق ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا﴾ ، ونقد الباطل بالصدق ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ .

● غرس اليقين يكون عن طريق دعائك أن يهدي الله عباده (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)

رواه البخاري، ﴿فاستغفر لهم﴾ وأن يجعلك سببا

في تحقيق مراده ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾.

● غرس اليقين يكون عن طريق إخلاصك لله في

دعوتك ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾

وإحسانك للناس في طريقتك ﴿فبما رحمة من الله

لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من

حولك﴾.

● غرس اليقين يكون عن طريق الموعظة الصادقة

الحسنة، وأعظم ما يغرس اليقين كتاب الله وقد

وصفه سبحانه بقوله ﴿هذا بيان للناس وهدى

وموعظة للمتقين﴾.

أيها الخطيب.. اعلم أيها الحبيب أن أول مهمة لك في الدعوة وآخرها، هي ربط قلوب الناس وعقولهم بربهم، ويتحقق لك هذا بأمر منها:

● بتعظيم شأن الكتاب العزيز، بالعمل به وتلاوته والاستدلال به وتقديمه على كل ما سواه، والحث على تدبره وتفسير معانيه للناس، فهو مستودع الرسالة الخاتمة وفيه من العلم ما لو استقر بقلب مسلم لن يجد عن التوجه لله بالعبودية سبيلا، ولن يجد ألدّ من تلاوته ولا أطرب من سماعه ولا أجمل من العمل بأوامره وترك نواهيه، ففيه الهدى والنور، وفيه اليقين ودواعي التسليم لرب العالمين ﴿كتاب

أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو
الألباب ﴿١٠﴾.

● وكذلك من وسائل ربط قلوب الناس بربها،
الإجلال للسنة النبوية المطهرة، والعمل بها والدعوة
إليها والاستدلال بها، والتمييز بين صحيحها من
سقيمها، فلا ينبغي لك أيها الخطيب أن تكون
كحاطب ليل تأخذ ما هب ودب، فمن
ضروريات العلم أن من السنة صحيح وضعيف،
وقد اعتنى علماء الإسلام ببيان الصحيح
والضعيف، ولا تقل في الفضائل نتساهل واذكر
الحديث المتواتر (من تقول عليّ ما لم أقل فليتبوأ
مقعده من النار) وفي الصحيح ما يغني، ومن قال

بغير ذلك فكأنه يتهم الدين الكامل بالنقصان،
فبتعظيمك أيها الخطيب للسنة عملاً واستدلالاً
تعظم في قلوب الناس، وذلك من دواعي ربط
القلوب بالوحين، وتوثيق الصلة بين العبد وربّه.

● وكذلك تتحقق تلك الغاية بتدأرس أخبار الأنبياء
والرسل على رأسهم رسولنا ﷺ، فإن في سير
الصالحين وقود للهمم وزكاة للنفوس وتطهير
للقلوب بالمحاسبة والمراجعة، وفيها إبراز للقدرات
الصالحة، ﴿فبهدهم اقتده﴾ فينظر العاقل إلى
علاقتهم مع ربهم، ويتفكر في تأييد الله لهم وتوفيقه
إياهم وأسباب ذلك، فيجد أن كل ذلك يقوي
الصلة بين العبد وربّه، فلا تغفل أيها الخطيب عن

الأمر التي تقوي الصلة بين العباد وربهم، فتلك
مهمتك وأنت الوارث لذلك من أنبياء الله ورسوله.

الفصل الثالث

أيها الخطيب.. إياك أن تنسى أو تناسى مواضيع الثوابت من دقيق وجليل العقائد، فإننا في عصر لو أدركه أحد السلف لمات كمدا من سوء ما حل بنا، فركز اهتمامك أولاً على تعليم التوحيد وقواعد الدين والعقيدة، ولا تشغل نفسك بجديد الشبه فتخصص لبعضها ساعات غاليات من عمر المنبر كما يصنع بعضهم، ولكن إياك أن تفهم كلامي بأني أقصد أن تذر الناس يتخبطون في ظلمات الشبهات وجحيم الشهوات، كلا، وإنما كن على مبدأ نافع وقاعدة كريمة

سطرها الأولون بقولهم "لا تعطني كل يوم سمكة ولكن علمني كيف أصطاد" بمعنى.. لا تشغل نفسك بأن ترد على كل شبهة واردة حتى وإن كان قصدك طيب، ولكن التصرف الصحيح أن تعلم الناس الدين من مبادئه بأسلوب رباني كما قال الله ﴿كونوا ربانيين﴾ أي علموا بالتدرج كما قال أهل التفسير، فإن مثل الشبهات كمثل الظلام، ومثل الدين الحق كمثل النور، فلا تحاول أن تمحو كل نقطة ظلام فإنك لن تقدر ولكن بين طريق النور، فإنه إن وجد النور ذهب الظلام، وكذلك الدين والسنة أيما حلاً ارتحلت البدع والشبهات واختفت لفائف الظلمات.

وإياك أن تستثني من الدين والعقيدة شيء بحجة أنه
معلوم وأنه من الثوابت، فإننا في زمن تخلخلت الثوابت
وتمكنت من القلوب الشبهاتُ، فإن ما كان ثابتاً
بالأمس قد اختل بشبهة جديدة من كلمة فاجر أو
كتاب كائد، فالعالم اليوم أصبح مُتداخلاً بعضه في
بعض، فإن لم يجد المسلم ما يزيد من يقينه ويثبت من
إيمانه فإن مصيره إلى الفتنة، والثبات لمن ثبته الله.

أيها الخطيب.. نحن في زمن زادت الفجوة بين العلماء
والعوام، فانتشر الجهل وظهرت الطوام، وتخبط كثير من
الناس بين البدع والظلام، فليس ثمة رابط بين العلماء
والعوام غيرك، فاعرف مقامك وكن مسؤولاً بقدر

مسؤوليتك، فوالله إنك كخطيب لمسؤول أمام الله جل
وعلا عن مهمتك.

أيها الخطيب.. إن فتن الزمان وضياع الأمان وطُغيان
الظلام جعلت كثيرا من الناس يقلل من قدر العلم وأهله
عن جهل، فكن أنت الوسيط الذي يربط بين
الأحداث وفتاوى العلماء، وكن أنت الناقل للأحكام
إلى الناس ليتعرفوا على دينهم ويعبدوا ربهم على بصيرة.

أيها الخطيب.. كم ترى من القرى والمدن الخالية من
العلم والعلماء، وكم ترى من الانسلاخ الناتج عن
الجهل والغباء؟ إن الوسيلة الوحيدة لكثير من الناس
لتعلم دينهم كلماتك التي تخرج من فمك على أعواد

المنبر، فاتق الله في رجال ونساء يستمعون كلماتك ليتعلموا من دينهم ما ينفعهم، وإياك ونسيان جوانب من الدين أو أحكام أصناف من المسلمين، فقد بلغنا والله شكوى نساء مؤمنات يشتكين أن الخطباء كأنهم عن أحكام النساء عميان، فلا يتكلم إلا في ما يرضي فلانا أو فلانا، ونسي أنه عن وقوفه مسؤول، وبعمله مرهون فتنبه أيها الخطيب.

أيها الخطيب.. إياك أن تنزلق في مزلق خطير، انزلق فيه في زماننا الكثير، وهو الابتعاد عن قضايا العصر الفكرية والعقدية، ولست أقصد الفلسفة أو السياسة، بل أقصد قضايا كانت ثوابت فاختلفت بفعل عواصف التغريب والتخريب في عالم وسائل التواصل الاجتماعي، فإننا قد

رأينا من لا يتكلم على المواضيع الطارئة بحجة أنه لا يرغب في الخوض فيها، وأهدر مسؤوليته وقصر في مهمته، فالواجب أن يكون الخطيب صاحب اطلاع واستقصاء لما يجري في مجتمعه فيرصد الواقع ويتتبع الوقائع، فما استجد من المسائل سعى في تعلمها لكي يتدارك المجتمع من أن تحوطه شبهة أو تتوغل فيه شهوة، فإن لم يفعل فما أدى أمانته وما راعى حق الناس عليه في مهمته.

الفصل الرابع

أيها الخطيب.. مقام الوعظ مقام كريم، فقد أمر الله به رسوله ﷺ فقال ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ وقد ذمّ الله المعرضين عن الوعظ والغافلين عن الحق فقال ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً﴾ فالوعظ من أسباب الهداية، وقبول الوعظ والعمل بالمواعظ من أسباب الخير والثبات، ويقول الله ﴿فأقصص القصص لعلمهم يتفكرون﴾ وكما جاء في الحديث الصحيح عند الترمذي قال العرياض-

رضي الله عنه-: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.

فلا تغفل عن بليغ الموعظة وجميل التذكرة، وتحرى
الصدق وإياك وحب الظهور فإنه كما يقول شيخنا
محمد الإمام- حفظه الله- "حب الظهور قصم الظهور"
فإن وعظت أو قصصت فعليك بالصدق والتقليل من
كلام الناس فإنه كثير الكم قليل النفع، وعليك بكلام
رب الناس فإنه الموعظة الكبرى والحكمة البالغة، وقد
أمر الله نبيه أن يذكر الناس به لأنه أبلغ الذكرى فقال
﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وقال ﴿يا أيها الناس
قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ وقد أمر الله نبيه ﷺ بأن

يدعو إليه بالحكمة وبالموعظة فقال ﴿ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾.

وإياك والجفاف في الكلام فإنه مدعاة لرد الكلام حقه
وباطله، زين خطبتك بالآيات الكريمة، والأحاديث
العظيمة، وابحث عن الآثار السلفية والأشعار الوعظية
واجعل للقلب من خطابك قدر، وللعقل قدر، وكن
حصيفا في اختيار الألفاظ وتحري أجمل الأساليب ولكن
بشرط أن تتفقد قلبك وإخلاصه لكي لا تكون وسيلة
الدعوة غايةً وشهوة، وإنما تزيين الخطبة السالف ذكره
وسيلة دعوة يُرجى معها أن تكون الموعظة مسموعة
والمعلومة مقبولة، فإن تحولت الوسيلة إلى غاية فثم
الهلاك وثم الرياء والسمعة.

الفصل الخامس

أيها الخطيب.. استمع إليّ وكن منصفاً، واصغ إليّ وكن مُدركاً لقصدي؛ إياك ثم إياك أن تربط الدعوة بشخص أو بحزب حتى إذا هلك ذلك الشخص أو الحزب أو فُتِن خَرَّت الدعوة على وجهها، إياك ثم إياك أن تتعصب لجماعة أو لعالم فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، إذا كان ولا بُد من ربط الناس بشيء فاربطهم بمصادر الدين، اربطهم بالله وبكتابه وبرسوله ﷺ وبسنته، فإن تمام الدلالة على الخير أن تدلهم على خير مأمون دائم، معصوم وملائم، وهل هذه الصفات إلا في كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ؟ ووالله لو أن أحد الرعاة أراد أن يربط دابته في السوق لتحرمى المربط الموثوق الثابت، ولن يربطها على شيء رديء أو متحرك خشية أن يفقدها، فكيف وأنت ذو مثل أعلى من ذلك فإن أقصى ما يحصل لذلك أن تتفلت من يديه دابة، أمة أنت فبين يديك أمة ولو كانت تلك الأمة عشرة أشخاص فقط فهي مصيبة.

نعم لشيخك عليك حق، نعم للعالم الكبير على الأمة حق، ولكن كل ذلك لا يسوغ لك أن تربط العوامّ بشخص فلان أو حزب فلان، فإن كنت تريد لهم الخير فكن وسيطا ومبلغا بين العلماء وعامة الناس، انقل فتاواهم وانشر كتبهم واقتبس من كلامهم ولكن لا تجعل

شخص فلان عنوانا للسنة ولا عنوانا للسلفية، وكما
سمعنا الشيخ فلاح منديكار-رحمه الله- يقول ناصحا
لأي أحد: "أنت لست عنوان السلفية، والسلفية لا
ترتبط بالرجال" لأن الحق مبني على قال الله وقال رسوله
ﷺ وليس على قال فلان وفعل فلان، وأحوج الناس
لمعرفة هذا هم رواد المنابر، والدعاة إلى الله.

الفصل السادس

أيها الخطيب.. وفي أثناء تحضيرك لخطبتك لا بد وأن توازن بين أمرين، بين إفراط وتفريط، بين تقصير وتطويل، وبين ألفاظ فصيحة غريبة وألفاظ عامية عجيبة، فخير الأمور أوسطها، واعلم أن طول الخطبة أدعى للملل وأقرب للكسل، وأن قصر الخطبة مظنة الزلل ومكمن الخلل، فتحري الإيجاز والتيسير، وإياك والإعجاز والتكدير، وكونوا بين هذا وذاك على حسب ما تعلمون من أحوال أقوامكم، وإياك ثم إياك من تحري الغريب من الكلام وإن كان فصيحاً فإن ذلك يخالف

القصـد الحسن، وإياك كذلك من الابتـدال في اختيار الألفاظ وأعرب كلامك، فلا تتكلم بألفاظ الجاهلية ولا بعامية السوق فإن ذلك لا يؤدي المقصود بالطريق المحمود، فإن القصد من قيامك بين عباد الله إفهامهم لما تقول من الحق، لا إبهامهم بما تصوغ من البلاغة والسجع، فكن وسط بين طرفين، لا فصيح غير مفهوم ولا مفهوم غير فصيح، فإن وُفقتَ لذلك فثم القصد الحسن.

واعلم أيها الخطيب.. أنك إنما عليك الدلالة لا الهداية، وإنما عليك البلاغ لا التوفيق ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ ولا يدفعنك الإعراض عن نصحك إلى ترك النصح والتكرار، وإياك ثم إياك أن تشتترط للنصيحة

الثانية العمل بالأولى، فإن من دواعي القبول والإجابة تكرار النصيحة بأحوال مختلفة، فإن من رفض نصيحتك اليوم لأمر في قلبه غدا سيزول ما في قلبه وسيقبل، وإن لم يقبل هذا النصيحة لأمر آخر فسيقبل الأخرى، وإن لم يقبل أحد ليس ذلك يضرك في شيء، واعلم بأنه يأتي يوم القيامة أنبياءٌ لله لم يستجب لهم أحد فكيف بك أنت، فوسع قلبك للرفض، وتود نفسك على التكرار، والدعاء للناس بالهداية والافتقار، يقول أحد الصالحين "إني لأقدم بين يدي نصيحتي أجزاء طوال من القرآن أقرأها لله عسى أن يكتب لنصيحتي القبول".

أيها الخطيب.. يجب أن تعلم حتى لا يضيق صدرك إنما عليك البلاغ، وعليك أن تتذكر ذلك دائما، وليس شيء من أجرك متعلق بقبول النصيحة إلا الزيادة، فإنك إن تيقنت هذا هان عليك ما تلقى من الإعراض والصدود، ومن الغفلة والجحود، وذلك أدعى لدوام نشاطك في الدعوة والتبليغ عن الله.

الفصل السابع

وأختم بما يستحق أن يكتب قبل المقدمة، وأنتهي إلى مُبتدأ العمل، إنه سر التوفيق وزاد الطريق، إنه داعي القبول لتذكيركم، وسبيل النجاة لقلوبكم، إنه شرط القبول وسُلم الوصول، إنه الإخلاص لله جل جلاله.

فلم يكن الحديث عن الإخلاص يوماً نافلة من القول، ولا العمل به نافلة من العمل، بل هو الأساس في كل الأمور، وعليه رحي التوفيق تدور، وبه يكتب الله لدعوة الداعية إليه القبول أو الذبول.

وإني الآن واعظك بكلمات اجعلها في كل حين على
بالك، وتذكرها كل جمعة قبل صعودك إلى المنبر لتقول
للناس ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾.

أيها الخطيب.. إذا وقفت على أعواد المنبر، فاحذر ثم
احذر أن تتكبر، وتذكر بأن الله أكبر، فقل الحق المؤكد،
وانصح بالرفق المسدد، واشتر نفسك بالإخلاص، يقول
ﷺ (من قام بخطبته لا يلتمس بها إلا رياءً وسمعةً وقفه
- عز وجل - يوم القيامة موقف رياءٍ وسمعةٍ) رواه
أحمد وقال الهيثمي: رجاله موثوقون.

بمعنى أن الله سيوقفك يوم القيامة مكشوف الحال
مفضوح الخصال يرى الناس رياءك الذي كان في الدنيا

مخفيا فويل لمن خطب في الناس لغير مقصد حسن
وابتغى بخطبته غير وجه الله.

واعلم أيها الخطيب.. أن الذي رفعك على أعواد المنبر
فوق عباده فوقفتَ وهم قاعدون، ونطقت وهم
ساكتون، هو سبحانه سائلك عن دقائق النوايا وخفايا
المقاصد، فاحذر قول الباطل أو كتم الحق لإرضاء الخلق
فإنك مسؤول أمام ربك، فأعد للسؤال جوابا وللجواب
صوابا.

تم التحرير في ليلة الخميس

١/جمادى الثاني/١٤٤٥